مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 02 ص.ص: 444-458

فلسفة الخدمة الاجتماعية في ظل النظام الاسلامي

Philosophy of social work under the Islamic system

ليلى بتقة، جامعة بالمسيلة، (الجزائر)، Leila.betka@univ-msila.dz

تاريخ إرسال المقال: 2022-01-10 تاريخ قبول المقال: 2022-06-25

الملخص:

النظام الإسلامي، جاء لخدمة الإنسان في كل صوره، فهو كنظام له فلسفته وتصوره الخاص الذي ينفرد به عن باقي المناهج والأنظمة الوضعية، وفي ضوء هذا التصور النابع من المصادر الأصلية له، تتحدد معالم الممارسة المهنية بين طبيعة التصور الاعتقادي وطبيعة الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، تلازما لا ينفصل ولا يتعلق بملابسات العصر والبيئة وإنما هو أبعد من ذلك، فالخدمة الاجتماعية هي جزء من التفسير الشامل لهذا الكون، ولمركز الإنسان ووظيفته فيه، فمن خلال هذا المقال نحاول إبراز فلسفة الخدمة الاجتماعية في ظل النظام الإسلامي، والتي تميزها عن باقي الأنظمة.

الكلمات المفتاحية: التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، الخدمة الاجتماعية، النظام الإسلامي.

Abstract:

The Islamic system came to serve man in all its forms, as a system it has its own philosophy and perception, which is unique other systems. In the light of this perception from its original sources, professional practice is defined between the nature of the concept and the nature of the practice of social work, which is not related to the circumstances of the times and the environment, but beyond that. Social work is part of the overall interpretation of this universe, and of the status and function of man in it. Through this article, we try to highlight the philosophy of social work under the Islamic system, which distinguishes it from other systems.

Key words : Islamic integration of social sciences ،social work، Islamic system.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 02 ص.ص: 444-458

فلسفة الخدمة الاجتماعية في ظل النظام الإسلامي

مقدمة:

انطلاقا من كون النظام الإسلامي هو أحد وأهم مقومات وركائز المجتمع ، بل هو الأساس الأول لبناء الفرد والمجتمع، باعتباره منهج حياة يوجه ويقوم ليحقق في النهاية المقاصد التي وجد من أجلها، توجهت جهود الكثير من العلماء والمفكرين نحو عملية التأصيل الإسلامي، وهناك من يطلق عليها عملية التوجيه الإسلامي للمعرفة ككل، ثم بدأت الجهود بالتخصص حسب مجالات وميادين المعرفة المختلفة، وباعتبار الخدمة الاجتماعية إحدى هذه الميادين، فهذا المقال يوضح عملية التناول الإسلامي للخدمة الاجتماعية، وهذا من باب إيجاد تصور إسلامي يحكم الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية ويوضح مسارها، فهو يتضمن تحديد دواعي الطرح الإسلامي للخدمة الاجتماعية، والتي دفعت بتناول موضوع الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية من منظور إسلامي، بالإضافة إلى تحديد فلسفة الخدمة الاجتماعية في ظل النظام الإسلامي، والتي تميزها عن باقي الأنظمة، فأهمية الموضوع تكمن في أهمية الإطار المرجعي لأي معرفة والذي يخدم توجهات وتصورات من يستقبل تلك الخدمة، ومن جهة أخرى مهنة الخدمة الاجتماعية ذاتها ذات منشأ ديني في الأصل، والعديد من المفكرين الغربيين وإن أنكروا ما جاء به التوجه الإسلامي واختلفوا معه في طبيعة التصور لكل من الفرد والجماعة والمجتمع، إلاَّ أنَّهم يؤكدون على أهمية التصور والمعتقد في عملية الممارسة العملية منهم "فيبر" في جميع دراساته حول سوسيولوجيا الدين أكد على ضرورة معرفة التصور العام للوجود الذي يحمله الفاعلون ويتحركون به، فلكي نفهم السلوكات البشرية على اختلاف أنواعها وأصنافها وداخل كل المجتمعات، ينبغي أن نضعها بالضرورة في سياق التصورات والتمثلات الشمولية التي يحملها الناس حول وجودهم ، وتشكل المعتقدات الدينية والتأويلات المرتبطة بها جزءا لا يتجزأ من هذه الرؤى الكونية التي لا مناص من فهمها من أجل فهم الأفراد والجماعات التي تحملها.[1]

فطابع ضروب الخدمة الاجتماعية تتفق مع طابع المجتمع المعاصر الأوروبي، وهو الطابع المادي الذي يصحبه إلزام القانون، فقلَّما يكون هناك عطاء مادي واجب الأداء في هذا المجتمع بدون مقابل مادي سبق آداؤه، إذ كل ما يؤدى في المجتمع من خدمات اجتماعية، يؤدى وفاء من الدولة لالتزامات التزمت بها لقاء ضرائب حصلتها، أو لقاء أقساط تأمين شهرية استقطعتها من أجور العاملين .

كل هذه الأمور تجعل من الإسلام كنظام حياة شامل من الناحية النظرية المرشح القوي لخلافة هذه النظم الوضعية، لا سيما وأنه يدعوا إلى" الخلقية الانسانية "، فيجمع بين مصالح الدين والدنيا، والله

تعالى يقول في محكم تنزيله: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)**[2].

وهو ما دفعنا لطرح التساؤل الرئيسي التالي: فيما تكمن فلسفة الخدمة الاجتماعية في ظل النظام الإسلامي، والتي تميزها عن التصور الغربي للخدمة الاجتماعية؟ من خلال الاعتماد على المنهج الوصفي في الإطارالنظري والتحليلي لمختلف النصوص الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

المبحث الأول: دواعي الطرح الإسلامي للخدمة الاجتماعية

لقد كانت البداية الأولى للخدمة الاجتماعية مرتبطة بالمؤسسات الدينية (ذات منشأ ديني)، إلاَّ أنه مع مرور الزمن ونظرا لغلبة الطابع المادي على المجتمع الغربي وبالتحديد المجتمع الأمريكي، انفصلت الخدمة الاجتماعية عن الدين، من خلال تبني نظريات علمية تفصل بين العلم والدين وهو ما عرف بالاتجاه العلماني، الذي يرى بأنَّ الدين لا يجب أن يخرج من دور العبادة، فظهرت توجهات فكرية تؤيد هذا الطرح كالتوجهات الماركسية والسلوكية، غير أنَّه مرة أخرى ظهرت أصوات وخاصة في مطلع الثمانينات في هذه المجتمعات الغربية تنادي بعدم تجاهل العوامل الروحية في الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، من أجل فاعلية المهنة، فنجد مثلا bullis وronald k يؤكدان أنَّ: « العوامل الروحية والخدمة كلاهما يخدم البعض، فالعوامل الروحية تمنح الخدمة الاجتماعية الخبرات والتصورات حول المستويات الشخصية والمجتمعية ،التي تعزز التحولات الشخصية والاجتماعية، كما أنَّه لا يوجد مانع لا أخلاقي ولا فلسفي يمنع من التشارك والتمازج بين العوامل الروحية وممارسة الخدمة الاجتماعية. »[3]

بل هناك من ذهب إلى أبعد من ذلك حين اعتبر أنَّ أساس الخدمة الاجتماعية هي القيم والعوامل الروحية أمثال: leola Dyrud و Edward، الذين أكدا أنَّ: «العوامل الروحية هي قلب المساعدة وقلب التعاطف والرعاية ، وهي الإطار الحيوي لممارسة الحكمة، وهي الطاقة الدافعة للخدمة، والأخصائيون الاجتماعيون يعلمون أنَّ أدوارهم المهنية، والنظريات والمهارات، تصبح فارغة ومملة وبلا حياة بدون هذه العوامل .»[4]

وتزامنا مع هذه الأصوات في المجتمع الغربي، ظهرت أصوات في الوطن العربي تدعوا إلى التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، من أجل بلورة إطار للممارسة المهنية في ظل النظام الإسلامي، وبهذا جاءت الكثير من الدراسات التي تؤكد هذا المسعى.

فقبل التطرق لحاجة ودواعي الطرح الإسلامي للخدمة الاجتماعية نعرج على تحديد المفاهيم التالية:

المطلب الأول: السياق المفاهيمي

في هذا المطلب سنحاول تحديد المفاهيم المركزية التي التي جاءت في هذا المقال، والمتمثلة في:

أولا: التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية

قبل التطرق لفلسفة الخدمة الاجتماعية وللخدمة الاجتماعية كمفهوم، وجب علينا تحديد مفهوم استدعى تناول الخدمة الاجتماعية من منظور إسلامي وإبراز فلسفتها في ظل هذا النظام، ألا وهي عملية التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، التي نادى بها الكثير، والتي يقصد من خلالها إرجاع هذه العلوم إلى مصادر التشريع الإسلامي (القرآن والسنة)، وبهذا نجد اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عرفت التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية على أنه:" إبراز الأسس الإسلامية التي تقوم عليها هذه العلوم من خلال جمعها أو استنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة، ودراسة موضوعات هذه العلوم على ضوئها مع الاستفادة مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم ومما لايتعارض مع تلك الأسس"[5].

ثانيا: الخدمة الاجتماعية

تعرف على أنها: "مهنة تعتمد على الأسلوب العلمي لمساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات على القيام بأدوارهم ووظائفهم الاجتماعية، والارتقاء بمستوى حياتهم من خلال مؤسسات يقوم بالعمل بها أخصائيون معدُّون لذلك "[6]

فهي كما يقول **محمد عويس**: "تتطلب من الأخصائي الاجتماعي توافر قدر كبير من المعارف العلمية والنظرية، التي تمكنه من التعامل مع هذه المتطلبات، وتنطلق الخدمة الاجتماعية في ممارستها لكي تحقق التفاعل بين الأفراد والمجتمع، لتحسين الظروف المعيشية بوجه عام لكل فرد، ولهذا فمجالات الممارسة المهنية متعددة ومتشابكة ، ولا بد للأخصائي الاجتماعي من الاعتماد على البحث العلمي في محاولاته الجادة لدراسة المشكلات، والوصول إلى التشخيص الملائم ، والتدخل المهني الفعال ."[7]

يعرف "**ارلين جوس** " الخدمة الاجتماعية بأنها: "خدمة مهنية تؤدى للناس أفراد أو جماعات لتقوم بينهم علاقات مرضية وليصلوا إلى مستويات من الحياة تتماشى مع قدراتهم ورغباتهم وأهداف المجتمع" [8].

كما يعرفها بريندا بويس 1992 على أنها "مهنة تركز على التفاعل بين الإنسان والبيئة كما تشمل على النشطة المهنية الموجهة لتحسين الأوضاع الإنسانية والاجتماعية وتخفيف الآلام الإنسانية والمشكلات الاجتماعية وذلك من خلال : [9]

1-مساعدة الناس في الحصول على الموارد.

2-إقامة منظمات تستجيب لحاجات الناس .

3-تسهيل التفاعل بين الفرد والآخرين في بيئته .

4-التأثير في التفاعلات القائمة بين المنظمات والنظم الاجتماعية

ثالثا: النظام الإسلامي

ويعرف النظام الإسلامي بأنه: "مجموعة الأوامر، والنواهي، والإرشادات التي جاء بها سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- من عند الله عز وجل، من أحكام اعتقادية، وأخلاقية، وعملية لتسيير أمور الإنسان العامة والخاصة، وذلك لتحقيق السعادة البشرية في الدنيا والآخرة "[10].

وحسب الدكتور أسامة الفقير الربابعة ، وزملائه فإن المفاهيم الموجودة في التعريف المقصود منها هو :[11]

-"مجموعة الأوامر، والنواهي، والإرشادات": إشارة إلى معنى النظام اصطلاحا ، بالنظر إلى قوامه وعماده في مفهوم أهل العلم الشرعي، حيث لفظ "الأوامر" يشمل :ما طلبه الشارع من المكلف فعله على وجه الحتم والإلزام.

-ولفظ "النواهي" يشمل :ما طلبه الشارع من المكلف تركه على وجه الحتم والإلزام،

ولفظ "الإرشادات" يدخل فيه فعل المستحب، ويشمل: ما طلبه الشارع من المكلف فعله

على سبيل الندب لا الإلزام، ويدخل فيه ترك المكروه، وهو ما طلبه الشارع من المكلف تركه على وجه الندب لا الإلزام، ويدخل فيه أيضا فعل المباح بنية التقرب إلى الله.

-"من أحكام اعتقادية، وأخلاقية، وعملية" : هذه أنواع الأحكام التي جاء بها سيدنا

محمد- صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم الله عليه وسلم- حيث تشكل بمجموعها الدين الإسلامي.

-"لتسيير أمور الإنسان العامة والخاصة ":هذا بيان لوظيفة نظام الإسلام في حياة

الإنسان، وأنَّه بأحكامه وتشريعاته لا يقتصر على الجانب الشخصي الفردي، بل يمتد إلى كافة مناحي الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والدولية .

-"لتحقيق السعادة البشرية ":هذا بيان لمقصد نظام الإسلام وغايته من أحكامه المتنوعة، وهي تحقيق مصالح العباد في الدارين الدنيا والآخرة .

المطلب الثاني: الحاجة لتناول الخدمة الاجتماعية من منظور إسلامي

هناك اعتبارات عدة تدعو المشتغلين في حقل العمل الاجتماعي والخدمة الاجتماعية بصورة أدق إلى تناول الموضوع من منظور إسلامي، والمتمثلة في :

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 02 ص.ص: 444-458

أولا–أنَّ الخدمة الاجتماعية الحديثة نشأت في مجتمع يختلف تماما عن المجتمع العربي الإسلامي، مجتمع له معتقدات وقيم ومعايير تختلف عن مثيلتها في المجتمع العربي الإسلامي، وبالتالي نظرة المجتمع الغربي للإنسان والوجود تنطلق من هذه المعتقدات والقيم والمعايير، والتي حتما تختلف عن تصور النظام الإسلامي للإنسان والوجود .

فالسياق التاريخي والاجتماعي الذي تولدت عنه هذه النماذج المعرفية الغربية، يختلف تماما عن السياق التاريخي الاجتماعي العربي الإسلامي، فلا يمكن فهم وتفسير الفعل الاجتماعي خارج السياق التاريخي والاجتماعي الذي وجد فيه، وهو ما يؤكده أحد منظري النموذج المعرفي الغربي "فيبر"، حين أكد أن دراسة الفعل الاجتماعي تنقسم إلى فهم الفعل الاجتماعي أو الظاهرة الاجتماعية في مستوى المعنى الفردي الذاتي(العاطفة والغاية)، أما المستوى الثاني فهو فهم الفعل على المستوى الجمعي(القيم والعادات السائدة).

فالمشكل الجوهري الذي تعاني منه مجتمعاتنا العربية اليوم هو محاولة الفصل بين التصورات المعرفية للخدمة الاجتماعية والهوية أو النموذج الثقافي القيمي (فالمشتغلون بتطور النظم الحضارية يرون أنَّ القيم هي السلوك الخلقي الذي يميز جماعة عن غيرها ومجتمعا عن غيره خلال فترة زمنية معينة وهو مايؤكد تأثير العامل الزمني في مضمون ومحتوى الخدمة الاجتماعية من حيث التصور والقواعد التي تحكمها باعتبارها معايير عقلية وجدانية تستند إلى مرجعية حضارية) ، فلكل نموذج إدراكي ولكل تخصص بعد معرفي يحدد منطلقاته ومعتقداته وفروضه ومسلماته الفكرية التي تكون مرجعيته وتحدد مفاهيمه ونظرياته وتصوراته حول الفرد والمجتمع والكون ككل، ولايمكن القول أنه من باب الموضوعية العلمية التخلي عن الهوية الثقافية في ممارسة الخدمة الاجتماعية كمهنة بأطرها المعرفية المعروفة، فلا يمكن التعامل مع فرد في بيئة تؤمن بالقضاء والقدر بنفي وجود الجزاء في الآخرة وأن للفرد حياة واحدة بعدها لايوجد لاجزاء ولا عالم برزخ ولا حساب، مثلما يحدث في خدمة الفرد في الغرب تحت شعار تمتع بحياتك فهي حياة واحدة بعدها لاشيء وعش كما يحلو لك فلا يوجد من يحاسبك غير القانون الذي يحكمك .

ثانيا–هذا التصور لم يبق عند حد التصور، بل بنيت عليه برامج الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية الموجهة لكل من الفرد والجماعة والمجتمع، فإذا كان هذا التصور الغربي مبني على النظرة المادية البحتة للإنسان والوجود، فأكيد هذه البرامج التي نشأت في ظل هذا التصور قائمة على الجانب المادي لا غير، وأبعدت من حسابها البعد الروحي والجانب الغيبي، واهتمت بكل ماهو ملموس .

ثالثا–كما أنَّ هذا التصور ألقى بضلاله على تفسير حاجات ومشكلات كل من الفرد والجماعة والمجتمع، والتي أرجعها لنقص أو انعدام الجانب المادي، وهذا ما أثَّر على عملية الممارسة.

رابعا–الأمر المهم الآخر الذي دعا إلى تناول الموضوع في ظل النظام الإسلامي هو النظام الإسلامي ذاته، هذا النظام الذي يتمتع بجملة من الخصائص(الشمولية، الواقعية، التوازن...الخ)، التي تمكنه من شمولية وواقعية الرؤية لكل من الفرد والجماعة والمجتمع، وتنأى به عن كل تطرف أو تقصير في الممارسة والتناول، وكذلك باعتبار أنَّ النظام الإسلامي ما ترك شاردة ولا واردة إلاَّ وتدخل فيها بالتوجيه والإصلاح، ففيه تبيان لكل شيء، إذ قال الله تعالى في محكم تنزيله:(**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**)[12].

وفي هذه النقطة نجد "نبيل محمد صادق "يرى أنَّه من مبررات الاتجاه الإسلامي في إطار الخدمة الاجتماعية مبررات تتعلق بطبيعة النظام الإسلامي، والمتمثلة في :[13]

1–شمولية النظام الإسلامي

ويقصد بها أنَّ النظام الإسلامي منهج شامل، فهو لم يترك أمرا من الأمور التي تتصل بالحياة والمجتمع والإنسان والكون إلاَّ وأوضحه وضوحا غاية في الدقة والتحديد، هذا الإطار الشمولي يعد أمرا هاما بالنسبة للخدمة الاجتماعية، ذلك أنَّ طبيعتها الخاصة تستلزم مثل هذه النظرة الشمولية .

2–تكامل الإطار الإسلامي

ويعني ذلك أنَّ النظام الإسلامي يتناول الأمور بنظرة تكاملية أو نظرة نسقية بالتعبير المعاصر، والخدمة الاجتماعية تحتاج أكثر ما تحتاج –نظريا وتطبيقيا– إلى تلك النظرة الشاملة والتكاملية التي تمنح المهنة فاعلية في العمل وموضوعية في الإنجاز.

3–دقة الإطار الإسلامي

وصفة الدقة هذه تعود إلى أنَّ مصدر هذا الإطار هو الله–سبحانه وتعالى– وهذه الدقة اللانهائية تجعلنا نعتمد في المهنة على حقائق لا تتغير، وبالتالي تبعدنا عن النظريات التي تتغير كل يوم،ومحصلة ذلك كله يمكن أن تنعكس على فاعلية الممارسة المهنية.

كما أنَّ تحييد الدين عن الحياة الاجتماعية للأفراد يعد قصورا في الطرح الشامل والتناول الايجابي لعملية الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية ، خاصة لما يلعبه الوازع الديني من دور بارز في التأثير على قرارات وسلوك الفرد، الجماعة والمجتمع، فالدين يؤدي دوره الأخلاقي والتهذيبي أكثر من أية قوة ضبطية

أخرى، فهو يؤثر في استقامة السلوك وتعميق العلاقات الانسانية وتنمية الجماعات والمجتمعات أكثر من القانون الوضعي.[14] .

المبحث الثاني: فلسفة الخدمة الاجتماعية في النظام الإسلامي

لكل إنسان الحق في أن يتمتع بإنسانيته، وإذا كانت أنصبة الخلق من مزايا الإنسانية مختلفة، فإنَّهم جميعا يتساوون في القيمة البشرية، فإذا نقص إنسان عن غيره نقصا حسيا أو حركيا أو عقليا كذوي الاحتياجات الخاصة، أو ماديا كالفقير والغني، أو اختلاف في الطبقة والمكانة الاجتماعية، فإنَّ هذا الاختلاف يجب ألاَّ يعوقه عن تمتعه بما فيه من إنسانية، مراعاة لآدميته المكرَّمة (۞ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**) [15] ، وحماية لمصالح المجتمع، وهذا ما جاء به النظام الإسلامي، الذي جعل من حقوق الإنسان مهما كان وكيفما كان فروضا وواجبات شرعية تأخذ حكم الفرض والواجب، ويذهب بعض العلماء إلى القول بأنَّها ضرورات، وهي أعلى درجات المصالح على الإطلاق وتحميها حدود، و إلى أنَّها حرمات تدخل في حمى الله تعالى، والتي أدَّت إلى نتائج ملموسة الأثر في هذا الاتجاه أهمها :

المطلب الأول: الفرد يتساوى مع غيره في الحقوق والواجبات

قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[16] ، فهذه الآية تؤكد على أنَّ حق الإنسان في النظام الإسلامي واحد، وأنَّ اختلاف الأجناس في اللون واللغة والدين والعرق، وحتى الحالة الصحية للفرد من سلامة الأعضاء أو عدمها كذوي الاحتياجات الخاصة، ليس مدعاة لعدم المساواة، إنَّما أساس التمايز هي التقوى، فعن أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: ﴿ قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم ﴾ [17]؛ أي أنّ ميزان التفاضل بين الناس هو التقوى، نستنتج من هذه النصوص التشريعية من القرآن والسنَّة التي أقَّرت مبدأ المساواة بين البشر جميعا بصفة مطلقة بلا قيود ولا استثناء، فالكل سواء في النظام الإسلامي أمام القانون والعدالة الإسلامية. [18]

فالخدمة الاجتماعية المقدمة بطرقها الثلاث(خدمة الفرد،الجماعة، وتنظيم المجتمع) في إطار هذه الفلسفة لا تخضع لمبدأ المفاضلة، بل لمبدأ الحاجة والاستحقاق، وبالتالي تسقط كل الاعتبارات المتعلقة بالجنس والأصل والتوجه الفكري، وكل ما من شأنه تكريس مبدأ التمييز أثناء الخدمة.

المطلب الثاني:الثقة في إمكانات الفرد وفي قدرته على معاونة نفسه وعلى الإنتاج

لأنَّ النظر للفرد على أنَّه عاجز لا يستطيع القيام بشيء هي فكرة خاطئة، تساهم في سلبية الفرد، والله سبحانه وتعالى يقول :(**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**)[19].

وهذه الآية تقرر مبدأ يقضي بأنَّ القوة اللازمة لحل مشكلة شخص ما تكمن في هذا الشخص، وأنَّ تجاهل هذه القوة و إهمال الإفادة منها يؤدي إلى السلبية والإتكالية، وبالتالي يلقي حملا على المجتمع، وفي نفس الوقت يفقد هذا المجتمع جهد عضو من أعضائه، مهما كان حجم هذا الجهد .

إنَّ من وهنت قدراته على معاونة نفسه، يجب أن يعان بطريقة واعية لاستعادة ما فقده، كما يجب أن يعان على تعديل قيمه وأدواره بطريقة سديدة، يسهم فيها ويشارك مع كل من يهمهم الأمر، وأنَّ من حل به ضرر أو مشكل ما قادر على معونة نفسه إذا أعين على اكتشاف قدراته، وأفهمناه بصورة واضحة حقيقة مشكلاته، وبمعنى آخر أعنَّاه على التغيير، وعلى أن يكون فردا إيجابيا منتجا لا مجرد مستهلك، يتخذ من احتياجه ومشكلاته حجة لسلبيته واتكاله على الغير، والمثل القديم يقول :"لا تعط المحتاج سمكة بل علمه كيف يصطاد "، لهذا كل ما يقدم للفرد من خدمات الهدف من ورائه تفعيل الفرد بإخراجه من دائرة السلبية والإتكالية، إلى دائرة الاعتماد على النفس والإنتاج .

المطلب الثالث:إنَّ المجتمع يعتبر مسؤولا على مساعدة الفرد ليس من جانب الإحسان والشفقة بل واجب قانوني محتم الأداء

تقع على المجتمع مسؤولية خدمة ورعاية الفرد، فكل يشارك في هذه المسؤولية على قدر استطاعته، والله– سبحانه وتعالى–يؤكد هذه الحقيقة بقوله:(**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [20].

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:﴿ ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم مسؤول، وكلكم مسؤول عن رعيته ﴾[21]، والمتهاون في أداء هذه المسؤولية قد يحرم الجنَّة بسبب تقصيره، فعن معقل بن يسار قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:﴿ ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلاَّ حرَّم الله عليه الجنَّة ﴾[22] .

والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت وصايته، ففيه أنَّ كل من كان تحت نظره شيء، فهو مطالب بالحفاظ عليه، ورعايته وإلاَّ كان خائنا لهذه الأمانة التي كلف بها، ومن هذا نستنتج أنَّ خدمة الفرد ورعايته مسؤولية المجتمع وعلى رأسه المسؤول والقائم على رعاية هذا المجتمع، حتى أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لعظم هذه الأمانة–الرعاية–جعل الغاش فيها وهو الذي يتهاون في مصالح الأفراد ولا يؤدي حقهم، جزاءه أن يحرم الله عليه الجنَّة–وما أقساها من عقوبة– وهذا دليل على عظم هذه الأمانة (الرعاية) وأدائها على الوجه المطلوب .

والكثير من الآيات القرآنية التي تدعو للتعاون والتكافل بين البشر مثل قوله تعالى:(**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**)[23]

وفي السنَّة النبوية الشريفة العديد من الأحاديث التي شبهت رعاية المجتمع لأفراده وتعاونهم مع بعض بالجسد الواحد ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم :﴿ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴾، وفي رواية أخرى:﴿ المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر ﴾ وأيضا في رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم :﴿ المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه، اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه، اشتكى كلّه ﴾[24] ، فهذه الأحاديث النبوية الشريفة تبين مسؤولية المجتمع على خدمة الفرد ورعايته، وتحثه على ذلك من باب التقرب إلى الله عز وجل، فمساعدة الغير هي عبادة لا تقل عن غيرها من العبادات، والنظام الإسلامي بما جاء به من توجيهات وأحكام فإنَّما ليدفع بالمجتمع إلى رعاية أفراده من باب المسؤولية، التي يفرضها عليه الضمير الحي، الذي يأمل صاحبه في جنَّة عرضها السموات والأرض، والتي قد يحرم منها لتخليه عن مسؤوليته .

المطلب الرابع:الأخذ بالأسلوب التكاملي البناء في خدمة الفرد ورعايته

وبمعنى آخر النظرة الكلية الواعية، ذلك أنَّ التفسيرات والتدابير الجزئية لا تساعد على فهم السلوك الإنساني، وبالتالي تشخيصه ثم تقديم الخدمات اللازمة كعلاج لانحرافاته، إنَّنا من هذه الوجهة نسلم بالمبدأ القائل: أنَّ من ينظر إلى أحوال الناس من زاوية واحدة، ويقدم تفسير لمشكلة أو ظاهرة تتعلق بهم، يبعد عن الصواب، ويكون كمن لم يفسر شيئا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنَّ التأهيل الاجتماعي المعاصر للأفراد الذين يعانون من مشاكل وأزمات يسلم بأهمية الحوافز والرغبات، التي تدفع الأفراد إلى الاحتفاظ بشخصياتهم، ووحدتها مع عمليات التكيف في مواقف الحياة المتغيرة، وواجبنا أن نساعدهم على استمرار علاقاتهم ببيئتهم، وهم–عن طريق المعاونة الواعية–الذين يقررون المجالات المناسبة لهم، المؤدية إلى تخفيف متاعبهم وحل مشكلاتهم، ولقد كان لنا في رسول الله أسوة حسنة، ففي حله للمشكلات

الاجتماعية التي تناولها بحكمته النبوية كان يعمد إلى الأفق الواسع الشامل، وفي قضية السائل الذي جاء يطلب منه المساعدة، فوجهه–بعد الوقوف على حالته–إلى الاحتطاب، قائلا له: أن تقطع خشب وتبيعه وتدبر معاشك خير لك، خير مثال على ما نقول، فلقد أعانه المصطفى صلى الله عليه وسلم على الاحتفاظ بتكامل شخصيته، حتى استعاد ثقته بنفسه، واستعاد الحياة المجتمعية المنتجة .

فالنظام الإسلامي نظرته واقعية شاملة وايجابية، فالله تعالى خلق الإنسان من جسد وروح، ولكل واحد منها حاجاته المشروعة، وعلى هذا الأساس يؤكد النظام الإسلامي على تنمية كامل الشخصية الإنسانية، من مختلف النواحي الجسدية والنفسية والعقلية والروحية،بحيث تتكامل الروح مع الجسد، وينسجم العقل مع العاطفة، ويتوازن الفرد مع المجتمع، والله تعالى يقول(**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**)[25]، فالقرآن في هذه الآية عالج مسألة وحدة الشخصية الإنسانية، والاهتمام بمختلف عناصرها من أجل أن تتوافق مع الفطرة والطبيعة،وتمارس دورها في إعمار الكون وفق المخطط الإلهي المرسوم .

ففلسفة الخدمة الاجتماعية في النظام الإسلامي من خلال ماتم ذكره نستنتج أنها تقوم على الركائز المبينة في الشكل التالي:

الشكل 1: مقومات فلسفة الخدمة الاجتماعية في النظام الإسلامي

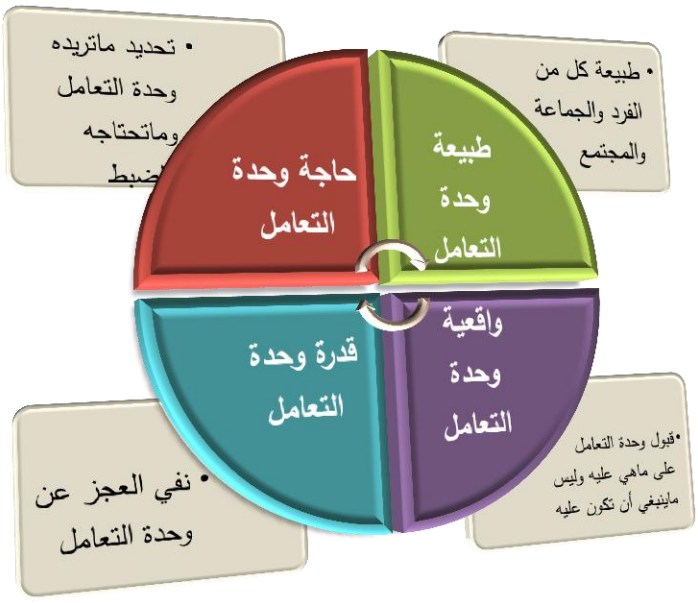

المصدر: من إعداد الباحثة

- فقط انطلاقا من طرق الخدمة الاجتماعية الثلاث المتمثلة في خدمة الفرد، خدمة الجماعة، وخدمة تنظيم المجتمع، نجد أنَّ وحدة التعامل قد تكون فردا، جماعة، أو مجتمعا (وهو المقصود بوحدة التعامل في الشكل أعلاه)
- من خلال الشكل نستنتج أنَّ فاعلية الخدمة الاجتماعية من المنظور الإسلامي تكمن في مراعاة:

أ-طبيعة وحدة التعامل:من خلال المعرفة الجيدة بطبيعة الفرد الذي نريد تقديم الخدمة له (مكوناته وما يؤثر فيه، فلا نهبط به إلى درك الحيوان، ولانعلو به إلى درجة التأليه)، وطبيعة الجماعة (فهي ليست كيان جامد لا يتغير، ولا جهاز الكل فيه لا يتفاعلون مع بعضهم البعض، فنجد الجفاء والتسلُّط وغيرها من الأمراض الاجتماعية، التي تفتك بوحدة الجماعة وتماسكها فالجماعة في النظام الإسلامي كيان يتصف بالحركية الدائمة، والوسط الحيوي للأفراد، هي عبارة عن مجموعة من العلاقات التبادلية السلوكية)، وطبيعة المجتمع (خصوصية وهوية المجتمع، إمكاناته، موارده...).

ب-حاجة وحدة التعامل: تقوم فلسفة الخدمة الاجتماعية في ظل النظام الإسلامي على مبدأ تقدير الحاجة، وليس على مبدأ الترف والإسعاد فهما نواتج وليس هدفا في حد ذاته، فمعرفة ما تحتاجه وحدة التعامل بالضبط يقوم على المقوم الأول ألا وهو معرفة طبيعة الوحدة بشكل جيد، وهو مايسهم في إنجاح عملية التشخيص ويزيد من فعالية الخدمة المقدمة لوحدة التعامل.

ج-واقعية وحدة التعامل: وهنا نتكلم عن النظرة الواقعية في التعامل مع وحدة التعامل (فرد ، جماعة، مجتمع)، والتي تستدعي التخلص من النظرة المثالية في التعامل، وما ينبغي أن يكون عليه الفرد أو الجماعة أو المجتمع، ففعالية الخدمة ونجاعتها تكمن بشكل أكبر في تقبل وحدة التعامل مثلما هي عليه.

د-قدرة وحدة التعامل: فمن خلال هذا المقوم ننظر لوحدة التعامل على أنها جزء من المشكلة وليست حالة تستدعي الوصاية الكلية بل الإشراف، ومساعدتها على الخروج من دائرة العجز والاتكالية، فلن يتغير حال وحدة التعامل بتحييد دورها في المساعدة والتعامل معها بسلبية وكأنها غير معنية بالأمر.

الخاتمة:

من خلال ماسبق طرحه رأينا أنَّ تناول الخدمة الاجتماعية من منظور إسلامي دعت إليه مجموعة من الاعتبارات؛ منها اعتبارات تتعلق بالطرح الغربي الذي يتوافق مع طبيعة المجتمع الغربي ،الذي يركز على الجانب المادي في الممارسة ، وأخرى تتعلق بطبيعة النظام الإسلامي ذاته، كما أنَّ الخدمة الاجتماعية في النظام الإسلامي تعتمد على فلسفة خاصة تقوم على مبدأ تكريم الإنسان ووحدة أصله،وهذا من أجل تحقيق جملة من المقاصد للفرد والجماعة والمجتمع، من أجل ضمان البعد الروحي والاجتماعي والمادي لوحدة التعامل، فاليوم تناول الخدمة الاجتماعية من منظور إسلامي لا يتنافى والموضوعية العلمية التي تدعو لفصل الذات الباحثة عن موضوع البحث، بل يتعلق الأمر بمنطلقات التصور الفكري التي نشأت فيها الخدمة الاجتماعية الغربية والتي أكدت على وجود قصور في الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية نابع من استبعاد العوامل الروحية في الممارسة، كما أنَّ المعرفة التي نتجت عن النمذجة المعرفية الغربية ليست معرفة كونية (ليس كل ماتثيره وتسلط الضوء عليه هو قضايا كل المجتمعات الإنسانية)، وإنما هي موجهة لبيئة محلية (باعتبار أنَّ المعرفة مرتبطة بالأطر الثقافية للمجتمعات).

وفي الأخير حان الوقت لنعي أنَّ مشكلتنا ليس في الإسلام كنظام لكنها في المسلم:"فمما لا جدال فيه أنَّ الإسلام قد احتفظ بإمضائه الذي صيغت به الحضارة الإسلامية كدرة فريدة في التاريخ، ولكن المسلم هو الذي فقد استخدامه الاجتماعي.[26]

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2022 المجلد: 05 العدد: 02 ص.ص: 444-458

الهوامش:

[1] -Oliver Bobineau Sébastien،Tank-Storper :Sociologie Des Religions،2ed،Armond Colin،France،2012 .P.37.

[2]–سورة: القصص، الآية.77.

[3]–Ronald k ،Bullis :Spirituality in Social work Practice،Taylor and Francis publishing، Washington،USA ،1996،pp.8،9.

[4] –Leola Dyrud,Edward R :Spiritual Diversity in Social Work Practice"The heart of helping،"oxford University Press،Canada،2009،p.3.

[5]– مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، الرياض، 1987.

[6]–عبد المحي محمود صالح : الرعاية الاجتماعية"تطورها–قضاياها"، دار المعرفة الجامعية، مصر،1999، ص.34.

[7]– محمد عويس: البحث العلمي في الخدمة الاجتماعية "الدراسة والتشخيص في بحوث الممارسة"، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002، ص ص.26،27.

[8]– إقبال أمين السمالوطي ،أساسيات ممارسة الخدمة الاجتماعية، (أفاق جديدة)، المطبعة الإسلامية الحديثة: القاهرة، 2007 ، ص 855

[9]– محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة،2000، ص.18.

[10]– أسامة الفقير الربابعة وآخرون، نظام الإسلام,ط2,دار النفائس,الأردن,2010، ص.11،12.

[11]– مرجع نفسه، ص.12.

[12]– سورة: النحل، الآية.89.

[13]–نبيل صادق: نحو مدرسة إسلامية في الخدمة الاجتماعية، القاهرة،1991، ص.13،14.

[14]–إحسان محمد حسن : علم الاجتماع الديني، ط1، دار وائل للنشر، الأردن،2005، ص.107.

[15]– سورة: الإسراء، الآية.70.

[16]– سورة: الحجرات،الآية .13.

[17]– النووي ، رياض الصالحين ، باب الصبر، دار الآفاق العربية ، القاهرة، 2004، ص.32.

[18]– بغدادي مولاي ملياني : حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، قصر الكتاب، الجزائر،1999، ص.408،409.

[19]– سورة : الرعد، الآية.11.

[20]– سورة: التوبة، الآية.71.

[21]– مسلم بن الحجاج النيسبوري، صحيح مسلم، مج6، ج12، كتاب الإمارة، دار الفكر، بيروت،1982، ص.213-215.

[22]– مرجع نفسه، مج8،ج16، كتاب البر والصلة والآداب، ص.134.

[23]-سورة:المائدة، الآية.2

[24]– مسلم بن الحجاج النيسبوري ، مج 8، ج16، كتاب البر والصلة والآداب، مرجع سابق، ص.132-131.

[25]– سورة: القصص، الآية.77.

[26]–مالك بن نبي:فكرة الافريقية الاسيوية،ط3،دار الفكر دمشق،2001.ص.226.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: الكتب

1- إحسان محمد حسن : علم الاجتماع الديني، ط1، دار وائل للنشر، الأردن،2005.

2- أسامة الفقير الربابعة وآخرون، نظام الإسلام,ط2,دار النفائس,الأردن,2010.

3- إقبال أمين السمالوطي ،أساسيات ممارسة الخدمة الاجتماعية، (أفاق جديدة)، المطبعة الإسلامية الحديثة: القاهرة، 2007.

4- بغدادي مولاي ملياني : حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية، قصر الكتاب، الجزائر،1999.

5- عبد المحي محمود صالح : الرعاية الاجتماعية"تطورها-قضاياها"، دار المعرفة الجامعية، مصر،1999.

6- مالك بن نبي:فكرة الافريقية الاسيوية،ط3،دار الفكر دمشق،2001.

7- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع،القاهرة،2000.

8- محمد عويس: البحث العلمي في الخدمة الاجتماعية "الدراسة والتشخيص في بحوث الممارسة"، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002.

9- مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:ندوة التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، الرياض، 1987.

10- مسلم بن الحجاج النيسبوري، صحيح مسلم، مج6، ج12، كتاب الإمارة، دار الفكر، بيروت،1982.

11- نبيل صادق: نحو مدرسة إسلامية في الخدمة الاجتماعية، القاهرة،1991.

12- النووي ، رياض الصالحين ، باب الصبر، دار الآفاق العربية ، القاهرة، 2004.

13- Leola Dyrud,Edward R :Spiritual Diversity in Social Work Practice"The heart of helping،"oxford University Press،Canada،2009.

14- Oliver Bobineau Sébastien،Tank-Storper :Sociologie Des Religions،2ed،Armond Colin،France،2012.

Ronald k ،Bullis :Spirituality in Social work Practice،Taylor and Francis publishing،

15- Washington،USA ،1996.